



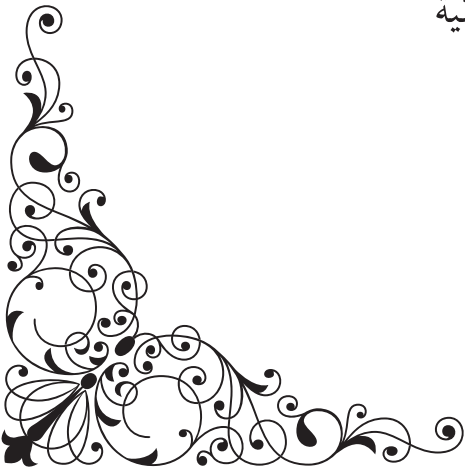
استراتيجية النهوض الحضاري

أ.م.د. نور سهيل مهدي

كلية الإمام الأعظم

قسم القراءات القرآنية

بغداد



المقدمة

أحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملئ السموات وملئ الأرض وملئ ما شاء ربي من شيءٍ بعد، والصلاة والسلام على أعظم الخلق وإمام الحق سيدنا محمد، رسم طريق الحضارة بأروع معانيها، وفجر ينابيع الحكمة ليرتقوا فيها، وأسس لأرضٍ أزهرت رحمةً وعلماً وإبداعاً، وطاعةً وانصياعاً لأمر بارئها، صلاةً موصولةً على آله وأصحابه ومن نأوا عن الضلالة والتهيا.. وبعد.

لقد تشرفت البشرية جمعاء بظهور حضارةٍ لم يشهد لها التاريخ مثيلاً منذ نزول آدم على وجه الأرض، حضارةٍ تتصف بالكمال والجمال والشمول، تلك الحضارة التي شق طريقها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وأبدع رسمها الصحابة والتابعين وتابعيهم، ففي حقبة القرون الوسطى التي كانت مظلمة على أوروبا وأغلب بقاع العالم، كانت عصوراً مشرقةً وذهبيةً على العالم الإسلامي وكاد بريقها يذهب بالأبصار، وفضلها على العالم آنذاك وفي وقتنا الحالي لا ينكره منصف، ولا ينسأه عاقل، في كافة المجالات العلمية والإنسانية.

وفي عصر الانكسار الذي نعيشه والانبهار الذي ننظر به إلى المعطيات المادية والثقافية للأمم الأخرى، ينبغي تصحيح الفهم للإسلام وقدرته على إبداع حضارة كاملة شاملة تقف وسطاً بين المادية والروح، وجوهرًا بين العلم والإيمان، واستيعاباً لكل جوانب الرحمة والأخلاق.

ومن هنا انطلقنا في مسيرة هذا البحث نضع خطوطاً استراتيجية للنهوض الحضاري المنشود، وعلى قدر عظم هذه القضية التي تشمل الإسلام كله ومصير المسلمين والعالم أجمع، تكون الجهود عظيمة على أصحاب العلم والفكر، ليرسموا خطوطاً بألوان

الطيب، في طريق النهوض الحضاري رفعةً لديننا، ورحمةً للعالمين.
جاء بحثنا الموسوم بـ(استراتيجية النهوض الحضاري) مكوناً من مقدمة وتمهيد
ومبحثين وخاتمة.

أما التمهيد فهو للتعريف بمصطلحات البحث.
وأما المبحث الأول ففي استراتيجية الأسس المعرفية، وتتكون من ثلاثة مطالب،
أما الأول فكان: العلم أول الفرائض، وأما الثاني فهو: استراتيجية فهم التاريخ، وجاء
الثالث في: سنة التدافع الحضاري.

أما المبحث الثاني ففي القيم الواقعية، وتكوّن من مطلبين: الأول في: الشهود
الحضاري، وجاء الثاني في: فقه جامعة الأمة ومانعية افتراقها.
ثم الخاتمة مع أبرز النتائج.

والله أسأل أن يتقبل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون خطوة نحو نهوض
حضاري مرتقب ومنشود للأمة الإسلامية، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

قبل البدء في الحديث عن مفاصل البحث الرئيسة، يتحتم علينا أولاً التمهيد من خلال التعريف بمصطلحات البحث تعريفات جامعة مانعة، وفق ورودها في معاجم اللغة والمؤلفات التي تناولت تلك المصطلحات بالبحث والتبيان، وكالآتي:

أولاً: الاستراتيجية

الاستراتيجية لغةً: الاستراتيجية في أصل وضعها تعرّف بأنها: فن وعلم وضع خطط الحرب وإدارة العمليات الحربيّة، وتعني: خطة شاملة في أي مجال من المجالات، وهي أيضاً: براعة التخطيط^(١).

فهو مصطلح معاصر وحديث الاستخدام وضع ليعبر عن خطة شاملة متكاملة لتحقيق غاية منشودة.

الاستراتيجية اصطلاحاً: وردت عدة تعريفات للاستراتيجية عبّرت كل منها عن جانب أو عدة جوانب من هذا المصطلح المعاصر، نذكر منها:

الاستراتيجية من ناحية المنهج هي: الطريقة المستخدمة في تنفيذ المشاريع وتطبيق الأفكار المنبثقة من رؤية واضحة وشاملة تتحقق من خلالها الأهداف الاستراتيجية، والتي تعمل على تحديد مختلف الطرق لتحقيق تلك الأهداف، ومن ثم اختيار أفضلها^(٢).

الاستراتيجية من ناحية التفكير هي: توافر القدرات والمهارات الضرورية لقيام الفرد والمؤسسة بالتصرفات الاستراتيجية البيئية المختلفة، وإجراء التنبؤات المستقبلية الدقيقة،

(١) ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (عالم الكتب: ٢٠٠٨م) ج ١، ص ٩٠.

(٢) ينظر: محمد عبد الغني هلال، مهارات التفكير والتخطيط الاستراتيجي_ كيف تربط بين الحاضر والمستقبل (مصر: مركز تطوير الأداء والتنمية، ٢٠٠٨م) ص ١١.

واتخاذ القرارات المتكيفة مع الظروف المحيطة، والقدرة على كسب معظم المواقف التنافسية، وإدراك الأبعاد الحرجة والمحورية في حياة الفرد والمؤسسة، والاستفادة من الموارد النادرة، ومن أهم خصائصه: إنه تفكير مستقبلي، إيجابي، تفاؤلي، واقعي، طموح، إبداعي، جماعي، مرن، مبني على الحقائق^(١).

الاستراتيجية من ناحية التخطيط هي: مجموعة من المبادئ والخطوات والأدوات والجهد المنظم الذي يساعد في صنع قرارات فعالة تؤدي إلى تحقيق رسالة الفرد والمؤسسة في ظل ما يحيط بهما من فرص وتهديدات بالبيئة الخارجية، ونقاط قوة وضعف في بيئتها الداخلية، وهي خلق واقع جديد يتجاوب مع تحديات المستقبل المتوقعة، والتي يعبر عنها في صورة قيم وأفكار^(٢).

ثانياً: النهوض

النهوض لغةً: مشتق من الفعل نهض، أي قام، وأنهضته أنا فانهض، وأنهضه حرّكه للنهوض، ونهض النبت إذا استوى، والنهضة الطاقة والقوة^(٣)، والنهوض: البراح من الموضع^(٤)، والنهوض: الصعود^(٥).

(١) ينظر: مدحت محمد أبو النصر، مقومات التفكير الاستراتيجي المتميز (القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر، ٢٠٠٩م) ص ٥٨.

(٢) ينظر: التخطيط الاستراتيجي، دليل الجمعيات المرشدة، مركز خدمات المنظمات غير الحكومية NGO، ص ١٢.

(٣) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ) ج ٧، ص ٢٤٥.

(٤) ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال، د.ت) ج ٣، ص ٤٠٨.

(٥) ينظر: ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، كتاب الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباوة (مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م) ص ٣٤٤.

ومن جملة المعاني اللغوية يتبين المعنى الاصطلاحي للفظة النهوض، والذي يدور حول معاني: الحركة والقيام والصعود والاستواء والطاقة والقوة. ويمكننا أن نعرف النهوض والنهضة اصطلاحاً: هي حركة فكرية عامة، حية منتشرة، تتقدم باستمرار في فضاء القرن، وتطرح الجديد دون قطيعة مع الماضي^(١).

ثالثاً: الحضارة

الحضارة لغة: حَضَرَ نَقِيضُ الْمَغِيبِ وَالْغَيْبِ، وكلمته بحضرة فلان أي بمشهد منه، وإنه لحسن الحَضْرَةِ والحَضْرَةِ: إِذَا حَضَرَ بِخَيْرٍ^(٢)، والحضْر خلاف البدو^(٣)، وأحضر الفرس يحضُرُ إحضاراً: إِذَا عَدَا عَدَواً شَدِيداً^(٤).
ومن جملة المعاني اللغوية يتبين لنا أن لفظة الحضارة تدور حول معاني: الحضور والشهود والحسن والخير والسرعة.

الحضارة اصطلاحاً: عرفت الحضارة بعدة تعريفات تبعاً لوجهة نظر أصحابها. فقد عرفها ابن خلدون في مقدمته من وجهة نظر مادية، فيقول: (هي التفتن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجداته والتأنق فيه تختص به وتتلو بعضها بعضاً، وتتكرر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والتلذذ والتنعم بأنواع الترف)^(٥).

(١) جاسم سلطان، استراتيجية الادراك للحراك_ من الصحوة إلى اليقظة (مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة (١)، مؤسسة أم القرى: المنصورة، ط ٤، ٢٠١٠م) ص ١٧.

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٩٦-١٩٧..

(٣) ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج ٣، ص ١٠١.

(٤) ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م) ج ١، ص ٥١٥.

(٥) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون (دار ابن خلدون: الاسكندرية) ص ١٢٠.

وأرجع المودودي في تعريفه الحضارة إلى عناصر أساسية خمس، فيقول: (إن ما يعبر عنه بكلمة الحضارة يتكون من العناصر الخمسة التالية: الأول: تصور الحياة الدنيا، الثاني: غاية الحياة، الثالث: العقائد والأفكار الأساسية، الرابع: تربية الأفراد، الخامس: النظام الاجتماعي. وما من حضارة في الدنيا إلا وقد تكونت من هذه العناصر الخمسة)^(١).

وتناولها سيد قطب من ناحية قيمية، فيعرف الحضارة بأنها: (ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ وقيم تصلح لقيادة البشرية وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقيين، والنمو والترقي للعنصر الإنساني وللقيم الإنسانية وللحياة الإنسانية)^(٢). وهي من وجهة نظر طبيعية وعمرانية كما عرفها عماد الدين خليل تعني: (فعل وإبداع ومجاهة لكتلة العالم الطبيعية، واستجابة للتحديات الدائمة وإعمار وتمهيد وتطور)^(٣).

رابعاً: استراتيجية النهوض الحضاري

ومن جملة التعريفات السابقة لمفردات عنوان البحث نتوصل إلى تعريف إجرائي للعنوان بمجمله، فنعرف (استراتيجية النهوض الحضاري) بأنها: التخطيط المتكامل الشامل لكل مجالات الحياة المعاصرة، مستوعباً معطيات الماضي مستشرفاً المستقبل، لأجل النهوض والانطلاق بواقع الأمة الإسلامية صعوداً نحو حضارة تجمع ما بين العمران المادي والرفاهية والتقدم العلمي والصناعي، وما بين القيم السامية والأفكار الراقية والمبادئ النبيلة، والأخلاق الفاضلة مستهدية بالشرع الحنيف، ومستفيدة من معطيات العلوم والمدنية في الماضي والحاضر.

(١) أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها، ترجمة: عاصم حداد (الدار العربية: بيروت، ط ٢، ١٩٧٠م) ص ٩.

(٢) سيد قطب، المستقبل لهذا الدين (دار الشروق: ١٩٨٠م) ص ٥٦.

(٣) عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ (العراق: مكتبة ٣ تموز، ط ٤، ١٩٨٦م) ص ١٤٧.

المبحث الأول استراتيجية الأسس المعرفية

توطئة

إن أي عملية نهوض حضاري لا بد لها من مرتكزات علمية، وأسس معرفية تستند عليها في مسيرتها نحو بناء المجتمع المتقدم، وتنطلق منها صوب منافسة الأمم الأخرى في عملية نهوضها، وكلما كانت هذه الأسس المعرفية متينة وصائبة وشمولية زاد ذلك من سرعة انطلاقة النهوض، وأدام ظل الحضارة في مجتمعتها.

والحضارة الإسلامية هي الحضارة الأمثل من بين حضارات العالم أجمع التي في مقدرها تقديم أروع نموذج حضاري، بفضل مصدرها الرباني، ووفق قدرة المسلمين على فهم الكتاب الكريم والسنة النبوية والعلوم التي يشيران إليها، وتوظيف تلك العلوم والمعارف لتكوين استراتيجية للنهوض الحضاري في العالم المعاصر.

ويإمكاننا القول أن أي مجال من مجالات العلوم والمعارف في عصرنا الحالي يتوافق مع تعاليم الشريعة ويسهم في عملية النهوض الحضاري نستطيع أن نضعه ضمن استراتيجية تحقق الغاية المرجاة وتوصل إلى الهدف المطلوب.

وسنقتصر في بحثنا هذا على ثلاثة مطالب نرى أنها من أهم الأسس التي ينبغي أن تنبني عليها استراتيجية النهوض الحضاري، وكالاتي:

المطلب الأول: العلم أول الفرائض

إن أي عملية نهضة لا بد لقيامها من قاعدة علمية تثري مسيرتها الحضارية وتصوّب خطواتها بقواعد صحيحة، تتوافق مع القوانين التي أودعها الله ﷻ في الكون المسخر للجنس البشري، وعلى قدر استفادة العقل من نعم الله ﷻ التي سخرها في السموات والأرض يكون الازدهار والتقدم.

لقد خاطب الله ﷻ آخر أنبيائه ﷺ بكلمة تختلف بمضمونها وصيغتها عن كل الكلمات الأخرى، وهي كلمة ﴿ أَقْرَأْ ﴾ التي قيلت في الغار لتصبح شعاراً لحضارة ومنهاجاً لحياة، ففي الرسائل السابقة كان الله ﷻ في بدء الوحي يخاطب في الإنسان حواسه الإنسانية: عصى تسعى، يد بيضاء، ابراء للأكمه والأبرص، إحياء للموتى، نار لا تحرق، ناقة تخرج من الأرض، أما في رسالة الإسلام فالخطاب الأول فيها كان للعقل الإنساني دونما اعتماد على الحواس، فهو يؤسس للغة جديدة في العلاقة بين الله ﷻ وبين الإنسان، قوامها العلم بمعناه الشمولي الواسع، والذي من خلاله أخذت كل الفرائض الإسلامية موقعها الذي حددته الشريعة فيما بعد، فالأمر ﴿ أَقْرَأْ ﴾ أكثر من الاستحباب وأكثر من الوجوب؛ كونه يقع في منطقة عميقة جداً في البناء الإسلامي، في الأساس والأركان والقاعدة، وهذا ما كان واضحاً واقعاً معاشاً لأفراد الجيل الأول الذين شكلوا الدفعة العلمية الكبرى التي أنجزتها الحضارة الإسلامية^(١).

تلك النقلة المعرفية التي أحدثها القرآن الكريم في صميم العقل البشري والتي أعادت تشكيله بالصيغة التي تمكنه من التعامل مع الكون والعالم والوجود برمته، واستمر

(١) ينظر: أحمد خيرى العمري، البوصلة القرآنية_ إبحار مختلف بحثاً عن خريطة للنهوض (دار المعرفة: مصر، ط ١١، ٢٠١٦م) ص ١٩-٢١.

في تعميقها في النفوس طوال فترة تنزله، من خلال النداءات المنبثقة من فعل القراءة والتفكير والتعقل والتدبر والتفقه وغيرها، وبذلك يجد العقل المسلم نفسه ملزماً بمنطق الإيمان نفسه بأن يتلاءم مع هذا التوجه المعرفي الجديد، وتحويله إلى واقع معيش^(١).

أما مصادر تلقي العلم لغرض التخطيط الاستراتيجي للنهوض الحضاري فيمكن إجمالها بالمستويات الثلاث الآتية^(٢):

المستوى الأول_ النصوص المرجعية والتراث الثقافي: المتمثلة بأحكام الإسلام وتعاليمه من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، والتراث المعرفي المتمثل بأقوال العلماء السابقين.

المستوى الثاني_ علوم العصر ومعطياته: في الميادين العلمية والمفاهيمية ومختلف الأفكار المطروحة، والتي تحتاج إلى مصفاة ورشد في التطبيق والاستفادة.

المستوى الثالث_ أعمال المفكرين المسلمين المعاصرين: الذين يستلهمون من النصوص المرجعية والتراث المعرفي (المستوى الأول) ويستلهمون من علوم العصر وقناعاته (المستوى الثاني) ليخرجوا برؤية ومنظومة فكرية تجمع الناس حولها وتفسر لهم الواقع وتبشرهم بالمستقبل، وترشدهم إلى استراتيجية للنهوض الحضاري.

المطلب الثاني: استراتيجية فهم التاريخ

إن وقائع البشر في الأمم السابقة وأحداث التاريخ الماضية الغابرة، والتي طويت صفحتها بغياب أشخاصها واندثار أزمانها ومعظم أسيائها، قد سجلت في صفحة الزمن الأرضي تطبيق عملي لقانون إلهي كوني مفاده: أن نتيجة العمل الصالح والعدل

(١) ينظر: عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية (المركز الثقافي العربي: المغرب،/ بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٥م) ص ١٣.

(٢) ينظر: جاسم سلطان، استراتيجية الادراك للحراك_ من الصحوة إلى اليقظة، ص ٦٢-٦٦.

والاحسان هو الحضارة وال عمران والتقدم على سائر الأمم، وإن نتيجة الظلم والطغيان والإفساد في الأرض هو الهوان والسقوط والاندثار.

وهذه هي الفائدة من التاريخ وذكر الأقسام السابقة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).

ويمكن أن ننطلق في فهمنا الاستراتيجي للتاريخ البشري بصورة عامة، والإسلامي بصورة خاصة بغية النهوض الحضاري من منطلقين أساسيين:

الأول: منطلق القانونية التاريخية _ فالقانون يحكم التاريخ، إذ أن التاريخ البشري لا يتحرك فوضى وعلى غير هدى، وإن الوقائع التاريخية لا تنمو بالصدفة وإنما تحكمها سنن ونواميس كتلك التي تحكم المادة سواءً بسواء، والمنهج الذي يطرحه القرآن الكريم في عرض الوقائع التاريخية هو منهج السنن والنواميس التي تسيّر حركة التاريخ وفق منعطفها الذي لا يخطئ، كونها منبثقة من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثابتة، ومن قلب العلاقات والشائج والارتباطات الظاهرة والباطنة في العالم الذي يتحرك فيه الإنسان، والتي تتجاوز في اتساعها وشموليتها نسبياً البيئة الجغرافية، لكي تتسع للفعل التاريخي نفسه القائمة على القيم الثابتة الدائمة في كيان الإنسان، والتي تنبثق عنها المواقف التاريخية سلماً وإيجاباً^(٢).

إن الأمم والأفراد يخضعون للسنن التاريخية والاجتماعية في جميع أحوالهم؛ وهذا الخضوع يساوي بالضبط خضوع المخلوقات الكونية المادية لسننها، فكما أن سقوط تفاحة من شجرة هو نتيجة حتمية لأسباب معينة أدت إلى هذا السقوط؛ فكذلك سقوط

(١) سورة يوسف، الآية (١١١).

(٢) ينظر: عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، ص ١٨-١٩.

أمة هو نتيجة حتمية لأسباب معينة أدت إلى هذا السقوط^(١).
وبهذا المنطلق يمكننا أن نتعامل مع التاريخ وفق معادلات دقيقة، تحدد عوامل نهوض
وسقوط الأمم والحضارات.

الثاني: منطلق المنجزات الحضارية_ لقد عُرض تاريخنا الإسلامي في معظم الكتب
والمؤلفات على انه يركز على الجانب السياسي للدولة الإسلامية، وإهمال بقية الجوانب
الفكرية والحضارية والاجتماعية والعلمية وغيرها، ومما لا شك فيه أنه قد حدثت
إشكالات كثيرة في الجانب السياسي للدولة الإسلامية عبر تاريخها، إلا أن تغليب هذا
الجانب والاقتصار عليه في العرض التاريخي، يعطي صورة مشوهة لهذا التاريخ، وكأنه
بؤرة صراعات سياسية لا تنتهي، ولا يوجد أي جانب مشرق في تاريخنا^(٢).

ويمكننا القول إن هناك نوعان من التاريخ^(٣): التاريخ الصغير والتاريخ الكبير.
أ. فأما التاريخ الصغير: فهو أخبار البلاط والقصور وما يدور فيها، والتركيز على
عوامل الإثارة والترف والصراعات الكيدية في القصور، على اعتبار ذلك هو تاريخ أمة
من الأمم، في حين أنه يشكل حياة شريحة صغيرة من قمة الهرم.

ب. وأما التاريخ الكبير: فهو إنجاز أمة من الأمم في المجال العسكري والاقتصادي
والإنساني والعلمي والفكري والاجتماعي، ودوره في خدمة البشرية، وهو الجزء الذي
يجسد الغالبية العظمى من المجتمع في حقبة ما، ونلاحظ أن الغرب يقدم للأمم الشرقية

(١) ينظر: عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية
(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م) ص ٢٤.

(٢) ينظر: محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٢م) ص ١٦.

(٣) ينظر: جاسم سلطان، فلسفة التاريخ؛ الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ (المنصورة: أم القرى،
ط ٤، ٢٠١٠م) ص ١٥_١٧.

تاريخ أوروبا من خلال التاريخ الكبير كي يرفعوا من شأنهم، بينما يتم يصر كثيرون على تقديم التاريخ الإسلامي من زاوية التاريخ الصغير الانتقائي، مما يؤدي إلى الإحساس بالتهميش والضعف والعجز، بفعل التركيز على جانب الفرقة والخلاف وإظهار التاريخ الإسلامي وكأنه صفحات لا تنتهي من الصراعات الداخلية يتخللها الغدر والقتل والمؤامرات، وإهمال أن هنالك إنجازات عظيمة تحققت برغم وجود هذا الخلاف والصراع.

المطلب الثالث: سنة التدافع الحضاري

لقد اقتضت سنة الله ﷻ أن يجعل الصراع بين الحق والباطل متجدداً في كل عصر، وقائماً مع كل تجمع بشري، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن قيام الحضارات وسقوطها وتقدم الأمم وتخلفها والنصر والهزيمة، خاضع لسنة إلهية تسمى بسنة التدافع الحضاري.

فالتدافع بين الحق والباطل يعني تنحية أحدهما للآخر أو إزالته ومحوه بالقوة إذا لزم الأمر، إذ أن كلا الطرفين يسعى إلى إظهار معانيهما للخارج وإقامة شؤون الحياة على أساسها، فيحصل التعارض والتزاحم والتدافع بينهما، بين الحق والباطل، ومن المستحيل أن يعيشان في سلم من دون غلبة أحدهما على الآخر، ولأن تطبيق أحدهما يستلزم مدافعة الآخر وإزالته وإضعافه لئلا يكون له تأثير في واقع الحياة، وقد قضت سنة الله ﷻ في تدافع الحق والباطل أن تكون الغلبة للحق وأهله والاندحار للباطل وأهله^(١).

وقد ورد ذكر هذه السنة في القرآن الكريم في موضعين، الموضع الأول في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ

(١) ينظر: عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص ٤٥-٤٨.

اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

والموضع الثاني ورد في سورة الحج قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَاجَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢﴾.

يقول صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة في سورة البقرة: (وهنا تتوارى الأشخاص والأحداث لتبرز من خلال النص القصير حكمة الله العليا في الأرض من اصطراع القوى وتنافس الطاقات وانطلاق السعي في تيار الحياة المتدفق الصاحب الموار، وهنا تتكشف على مد البصر ساحة الحياة المترامية الأطراف تموج بالناس، في تدافع وتسبق وزحام إلى الغايات.. ومن ورائها جميعاً تلك اليد الحكيمة المدبرة تمسك بالخيوط جميعاً، وتقود الموكب المتزاحم المتصارع المتسابق، إلى الخير والصلاح والنماء، في نهاية المطاف..

لقد كانت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة، لتنتلق الطاقات كلها تتزاحم وتتغالب وتتدافع، فتتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذخورة، وتظل أبداً يقظة عاملة، مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة.. وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء.. يكون بقيام الجماعة الخيرة المهتدية المتجردة، تعرف الحق الذي بينه الله لها، وتعرف طريقها إليه واضحاً. وتعرف أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق في الأرض) (٣).

(١) سورة البقرة، جزء من الآية (٢٥١).

(٢) سورة الحج، الآية (٤٠).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن (دار الشروق: بيروت؛ القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ) ج ١، ص ٢٧٠.

فهذه السنة الإلهية تدل على أن الله ﷻ لم يخلق الإنسان انفرادياً، بل خلقه اجتماعياً يحتاج إلى الآخرين وهم يحتاجون إليه، ويعمل في فريق حتى يحقق مراد الله من خلقه، وهذا الفريق وهذا الحراك الذاتي والنشاط الاجتماعي يحتاج إلى إدراك سنة التدافع، التي يتولد منها قوانين كثيرة لضبط هذا النشاط والحراك^(١).

خلاصة المبحث

ومن ذلك يتبين إن الشروع في عملية النهضة الحضارية لا بد لها من منظومة فكرية، وإن استراتيجية النهوض الحضاري لا بد أن تستند على أسس معرفية صائبة ومتوازنة وشاملة، تدرك مقاصد الشرع الحنيف وتفهم سنن الكون والقوانين الضابطة للحياة، وكيف تسير حركة التاريخ وكيف تنهض الأمم وتنهار، وتقرأ الوجود قراءة مستهدية بالله ﷻ مستفيدة من كل منجزات العلوم والمعارف؛ فهي ضالة المؤمن وزاد المستخلف في الأرض، وتفهم طبيعة الصراع بين الحق والباطل من خلال سنة التدافع الحضاري، يستند على كل ذلك قبل الشروع في أي نشاط نهضوي وحراك اجتماعي، وبذلك تتشكل استراتيجية للنهوض الحضاري.

(١) ينظر: علي جمعة، السنن الإلهية في المنظومة الكونية (مجلة حراء: اسطنبول السنة الرابعة) - العدد (١٥) (٢٠٠٩) ص ٤٢.

المبحث الثاني استراتيجية القيم الواقعية

توطئة

إن تعاليم الشريعة الإسلامية ليست طقوساً مساوية تؤدي للتعبد وتحصيل الأجر فحسب، بل هي قيم أرضية واقعية تتجسد في أفعال وسلوكيات وعلاقات تربط البشر بعضهم ببعض، وتنظم مواقعهم في الحياة الدنيا، بغية العيش في حياة رغيدة هانئة فوق أرض عامرة بطاعة الله ﷻ، وذلك هو غراس الجنة وزاد الآخرة متمثلاً بعمارة الدنيا وتنظيم شؤون الخلق في ظل طاعة الله وانطلاقاً نحو التقدم الحضاري، وإن الحد الفاصل بين النهوض والسقوط الحضاري هو قدرة المسلمين على فهم القيم الإسلامية وحسن تطبيقها في واقعهم.

ذلك إن الدين الإسلامي منذ تنزله على خاتم الأنبياء ﷺ نزل ليؤسس حضارة وليعمر الدنيا، وفيه كل الخصائص والمقومات التي تُأهله لقيادة البشرية، ويتحقق ذلك بجهود البشر أنفسهم، وبفهمهم لتعاليم الإسلام، واستيعابهم لمقاصده وغاياته وحسن تطبيقه في واقعهم المعيش.

والقيم الإسلامية واسعة سعة الإسلام نفسه، ويمكن أن تستند استراتيجية القيم الواقعية ضمن الاستراتيجية العامة للنهوض الحضاري على المطالب الآتية:

المطلب الاول: الشهود الحضاري

مر معنا سابقاً في التعريفات اللغوية أن كلمة (حضر) تأتي بمعنى (شهد)، وعلى ذلك فإن (حضارة) تعني (شهادة) وقد ورد ذكر الشهادة بوصفها رسالة الأمة الإسلامية الوسط الخيرة المتميزة بشخصيتها في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١)، والشاهد في أساسه هو الحاضر في عالم الآخرين، وهو مجبر على الحياة في اتصال وثيق بأكبر عدد من الذوات البشرية، وفي ذلك دليل على وجوب التفاعل الحضاري والحركة الإيجابية للأمة الإسلامية مع الحضارات الأخرى^(٢).

ومسوغ الشهادة للأمة الإسلامية هو كونها الأمة الوسط، والوسطية في الإسلام منزع استخلافي ومنطلق كوني وضابط أساسي للحياة الفردية والجماعية، فلم يكن الإسلام في تصوراتهِ ومنطلقاتهِ وتوجهاتهِ الكونية والحضارية ديناً روحياً خالصاً يعتمد في تشريعاتهِ ومبادئهِ على التشكيل الروحي للإنسان فحسب، ولم يكن كذلك ديناً مادياً خالصاً، ولم يحتزل الوجود البشري ويتعالى على طبائع العمران ويتعارض مع قوانين الوجود ويتخلى عن حقائق الاستخلاف الكبرى والمعاني الكونية والحضارية المميزة لوجود الانسان والضرورية للحياة البشرية في عالم الشهادة، بل إن الإسلام في منطلقاتهِ وتشريعاتهِ ومقوماتهِ ارتكز على الأبعاد المتعددة والمتكاملة في الطبيعة البشرية، فكان ديناً وسطياً عميقاً شاهداً على الأمم تتجلى فيه أدق معاني الشمول والتكامل والقصدية والنظام، ورؤية المسلم الكونية للحياة هي رؤية حضارية وسطية انتفاءً للأمة الوسط التي أنيطت

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٢) ينظر: فؤاد السعيد؛ فوزي خليل، الثقافة والحضارة_ مقارنة بين الفكرين الغربي والإسلامي، سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية (٤)، (دار الفكر: دمشق، ٢٠٠٨م) ص ١٠٧.

بها مسؤولية الشهادة الحضارية الشاملة على كامل التجربة الحضارية الإنسانية (١).
ومن منطلق الأمة الوسط وخيريتها، ومفهوم الشهود الحضاري وفاعليته، نستنتج أن
استراتيجية النهوض الحضاري تستلزم حضور الإسلام في الواقع البشري تنزيلاً لقيمه
بين الناس وتطبيقاً لتشريعته في الحياة وانطلاقاً من مبادئه ومقاصده في النظرة الكلية
الشاملة الجامعة للوجود الإنساني والغاية منه، وربطاً وثيقاً بين قيمه وأفكاره وبين الواقع
البشري بجميع جزئياته وكليات

المطلب الثاني: فقه جامعية الأمة ومانعية افتراقها

وتنبثق أهمية هذه الاستراتيجية من جانبين:

الأول: أن استراتيجية النهوض الحضاري لا يمكن أن تكتمل إلا بالخروج من
حال الاختلاف إلى فن الائتلاف واعتصام الأمة وتماسكها، فالمدخل الكلي الهادف
إلى الألفة الجامعة للتمكين لكل أمر يؤدي إلى جامعية هذه الأمة وفاعليتها يعتبر من
ضرورات البناء الاستراتيجي للنهوض الحضاري، من خلال إسهام طوائف المسلمين
في التجديد وعملية التقريب، وبذلك سوف تتحد التحديات فتتحد الاستجابات، وإذا
ضعفت الاستجابات وجب وضع استراتيجيات الوعي بالحاجات والتفكير بالوسائل
والأدوات والآليات، وتفعيل القابلية للفعل والفاعلية، أما إذا وجدت الاختلافات
بين الطوائف فينبغي أن نتعلم فن إدارتها والحرص على أن تبقى في دائرة التعدادات
والتنوعات والتكاملات، بهدف بناء موقف تقريبي يحفظ جامعية الأمة ويمنع تفرقها
وافتراقها (٢).

(١) ينظر: عبد العزيز برغوث، الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة (وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية: الكويت، سلسلة روافد (١)، ٢٠٠٧م) ص ٤١.

(٢) ينظر: سيف عبد الفتاح، المشروع الحضاري الإسلامي للتغيير - سيرة ومسيرة (دار البشير للثقافة

والثاني: أن مشروع النهضة الحضارية كبيراً إلى الحد الذي يتطلب استيعاب الأمة جميعاً له، بحيث تستنفر طاقاتها وتجمعها وتنفر لإنجازها كل من موقعه، وإن لم تفقه الأمة استراتيجيته ولم ينزل إلى مستوى تعبئة الأمة، ولم تنخرط فيه وتتفاعل معه وتبصر أهدافه ووسائله وتستشعر المسؤولية تجاهه فهو مشروع محكوم عليه بالفشل والسقوط؛ فالنهوض الحضاري ينبغي أن يشارك فيه الأفراد جميعاً وينعكس عليهم جميعاً^(١).

إن فقه جامعة الأمة ومانعية افتراقها يستند على تحقيق الوحدة الثقافية بين أبناء الأمة الإسلامية، فالأمة الموحدة ثقافياً هي التي يلتقي أبنائها في أسلوب واحد أو متقارب في معالجة القضايا وفي الإنجاز العملي للحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان أسلوباً يقوم على عنصرين أساسيين: الأول هو القيم الإسلامية الثابتة من عقيدة وشريعة وأخلاق، والثاني هو الكسب الإنساني والوسائل المتغيرة بتغير الظروف المحققة لتلك القيم الثابتة، فالوحدة الثقافية بين المسلمين لا تتحقق إلا بأن يجمعهم أسلوب موحد في تحقيق حياتهم يقوم على العنصرين آنفي الذكر^(٢).

ولإتمام الفائدة في تحقيق الوحدة الثقافية التي تجمع أبناء الأمة الإسلامية وتمنع تفرقهم ينبغي أن تتوجه جهود العلماء لتيسير الدين وتبسيطه لعامة الناس، ورفع نسبة عدد المسلمين من غير العلماء القادرين على فهمه بشكل مباشر من مصدريه الرئيسيين:

والعلوم: مصر، ٢٠١١م) ص ٨٦-٨٧.

(١) ينظر: عمر عبيد حسنة، الأعمال الفكرية الكاملة (المكتب الإسلامي: بيروت؛ عمان، ٢٠١١م) ج ٩، ص ٥٧٦٧.

(٢) ينظر: عبد المجيد النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين (المعهد العالمي للفكر الإسلامي: الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٢م) ص ٧٥-٧٦.

القرآن والسنة.

وذلك من خلال تقديم القرآن الكريم بطريقة تجعلهم يفهمون مقاصده وأوامره ونواهيته، وطباعة مصاحف تكون وسطاً بين مصحف لا يفهمه إلا المتخصصون باللغة العربية، وبين تفسيرات لا يقدر على قراءتها والاستفادة منها إلا من تفرغ لها وقتاً طويلاً، وهذا لن يكون إلا بتقليص أعداد المصاحف المطبوعة، ومعها كتب التفسير الكبيرة، بالمقابل نعمل إلى التوسع الكبير في طباعة مصاحف في حاشيتها معان لمفردات القرآن الكريم غير المفهومة، ووضع تفسير ميسر ومختصر للآيات التي لا يقدر على فهمها عامة المسلمين، أما ما يخص السنة النبوية المطهرة فلن نستفيد منها عامة الناس بعيداً عن البحث عن درجة صحة الحديث التي لا يتمكنون منها يمكن أن تشكل لجان من العلماء المتخصصين والبارعين في هذا العلم، ليجمعوا ما ثبت صحته في غير الصحيحين السنن والمسانيد وغيرها وإعادة تبويبه ليستفيد منه المسلمون، ثم تجمع الأحاديث الصحيحة التي يُتفق على صحتها، مع تلك التي في الصحيحين، وتطبع مجتمعة في موسوعة لها أبواب تضم الأحاديث من مختلف المصادر لمعالجة الموضوعات التشريعية، سواء كانت فقهية أو غيرها، مع نسبة كل حديث إلى مصدره الأصلي^(١).

(١) ينظر: عمر الحيايلى، الأساس المتين لفهم مصادر الدين وتطبيقه في حياة المسلمين (أنوار دجلة: بغداد، ٢٠١٥م) ص ٩-١٢.

الخاتمة

وفي ختام بحثنا هذا نحمد الله (U) على نعمة التمام، ونقف هنا لنلخص أبرز النتائج التي أسفر عنها البحث، بالنقاط الآتية:

١. إن استراتيجية النهوض الحضاري تعني التخطيط المتكامل الشامل لكل مجالات الحياة المعاصرة، مستوعباً معطيات الماضي مستشرفاً المستقبل؛ لأجل النهوض والانطلاق بواقع الأمة الإسلامية صعوداً نحو حضارة تجمع ما بين العمران المادي والرفاهية والتقدم العلمي والصناعي، وما بين القيم السامية والأفكار الراقية والمبادئ النبيلة والأخلاق الفاضلة مستهدية بالشرع الحنيف، ومستفيدة من معطيات العلوم والمدنية في الماضي والحاضر.

٢. من أبرز المرتكزات الاستراتيجية للنهوض الحضاري هي الأسس المعرفية، فلا بد لأي عملية نهوض حضاري من مرتكزات علمية وأسس معرفية، والحضارة الإسلامية هي الحضارة الأمثل من بين حضارات العالم أجمع التي في مقدورها تقديم أروع نموذج حضاري مستنداً على أسس معرفية حقة.

٣. والمرتكز الثاني الرئيس في استراتيجية النهوض الحضاري هو القيم الواقعية، إذ أن الإسلام هو عبارة عن منظومة قيم جاء ليتها تنزيلها على واقع الناس وفي حياتهم من خلال أفعال وسلوكيات وعلاقات تربط البشر بعضهم ببعض، ووفق مقدرة المسلمين على فهم تلك القيم وتنزيلها في الواقع تكون الانطلاقة القوية والاستراتيجية الشاملة نحو النهوض الحضاري.

المصادر والمراجع

١. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (عالم الكتب: ٢٠٠٨م).
٢. محمد عبد الغني هلال، مهارات التفكير والتخطيط الاستراتيجي_ كيف تربط بين الحاضر والمستقبل (مصر: مركز تطوير الاداء والتنمية، ٢٠٠٨م).
٣. مدحت محمد ابو النصر، مقومات التفكير الاستراتيجي المتميز (القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر، ٢٠٠٩م).
٤. التخطيط الاستراتيجي، دليل الجمعيات المرشدة، مركز خدمات المنظمات غير الحكومية NGO.
٥. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ).
٦. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي الخزومي، إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال، د.ت).
٧. ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، كتاب الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباوة (مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م).
٨. جاسم سلطان، استراتيجية الادراك للحراك_ من الصحوة إلى اليقظة (مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة (١)، مؤسسة أم القرى: المنصورة، ط ٤، ٢٠١٠م).
٩. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
١٠. عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون (دار ابن خلدون: الاسكندرية).

١١. أبو الاعلى المودودي، الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها، ترجمة: عاصم حداد (الدار العربية: بيروت، ط ٢، ١٩٧٠م).
١٢. سيد قطب، المستقبل لهذا الدين (دار الشروق: ١٩٨٠م).
١٣. عماد الدين خليل، التفسير الاسلامي للتاريخ (العراق: مكتبة ٣ تموز، ط ٤، ١٩٨٦م).
١٤. أحمد خيرى العمري، البوصلة القرآنية_ إبحار مختلف بحثاً عن خريطة للنهوض (دار المعرفة: مصر، ط ١١، ٢٠١٦م).
١٥. عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية (المركز الثقافي العربي: المغرب،/ بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٥م).
١٦. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).
١٧. محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٢م).
١٨. جاسم سلطان، فلسفة التاريخ؛ الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ (المنصورة: أم القرى، ط ٤، ٢٠١٠م).
١٩. سيد قطب، في ظلال القرآن (دار الشروق: بيروت؛ القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ).
٢٠. علي جمعة، السنن الإلهية في المنظومة الكونية (مجلة حراء: اسطنبول السنة الرابعة- العدد (١٥) ٢٠٠٩).
٢١. فؤاد السعيد؛ فوزي خليل، الثقافة والحضارة_ مقارنة بين الفكرين الغربي والاسلامي، سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية (٤)، (دار الفكر: دمشق، ٢٠٠٨م).
٢٢. عبد العزيز برغوث، الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة (وزارة

- الاقواق والشؤون الاسلامية: الكويت، سلسلة روافد (١)، (٢٠٠٧م).
٢٣. سيف عبد الفتاح، المشروع الحضاري الاسلامي للتغيير_ سيرة ومسيرة (دار البشير للثقافة والعلوم: مصر، ٢٠١١م).
٢٤. عمر عبيد حسنة، الأعمال الفكرية الكاملة (المكتب الاسلامي: بيروت؛ عمان، ٢٠١١م).
٢٥. عبد المجيد النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين (المعهد العالمي للفكر الإسلامي: الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٢م).
٢٦. عمر الحياي، الأساس المتين لفهم مصادر الدين وتطبيقه في حياة المسلمين (انوار دجلة: بغداد، ٢٠١٥م).

